

في أفق السياسة العالمية

إيطاليا والبحر المتوسط

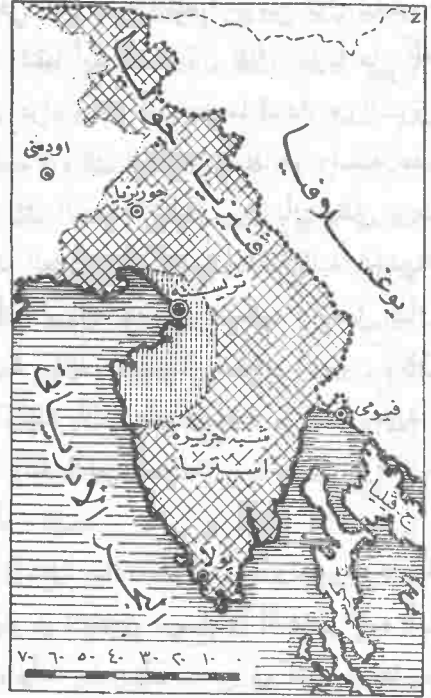
سفر موسوليني مرة - كما كان يسخر كثيراً من انجلترا - من قول شاعرها «إن الشرق شرق والغرب غرب ، ولن يلتقيا أبداً الدهر» . فقال تعقيماً على كلمة الشاعر الانجليزي : ما هذا إلا سخف وقول هراء ؛ فقد جمعت روما قديماً بين الشرق والغرب في دولة واحدة وتحت قانون واحد ، وكان البحر المتوسط هو واسطة هذه الوحدة التي استمرت عدة قرون . وقد كان البحر المتوسط خليقاً بأن يظل يربط بين الشرق والغرب لولا الاختراعات العلمية والكشوف الجغرافية الحديثة التي أوجدت طرقاً أخرى للملاحة وأنشأت أسواقاً جديدة للتجارة ، فحُمل شأن البحر المتوسط وقامت في العالم مدنية غربية جديدة موسومة بطغيان المادة . وكان موسوليني يؤكد أن الحكومة الفاشية كفيلة بأن تبعث في إيطاليا روحاً جديدة تعيد إلى البحر المتوسط أهميته كعامل يربط الشرق والغرب ، تحدياً لبريطانيا وشاعرها .

والحق أن الحكومة الفاشية في إيطاليا ما فتئت تعمل وتنتشر دعايتها عن البحر المتوسط طوال عهدها ، حتى وقر في النفوس ورسخ في أذهان القوم أن البحر المتوسط مقترن باسم إيطاليا وقوتها ، وأنه جدير بأن يسموه في كتبهم وخطبهم «بحرنا» . ولم يكتف الفاشيون بالاعلان والدعاية المجردة ، بل رسموا سياستهم الخارجية وخططهم الدفاعية على أساس القوة البحرية حتى أصبح البحر المتوسط منذ العهد الفاشي في إيطاليا كيان سياسى قائم لم تلبث الدول أن خصته بأكبر نصيب من اهتمامها وجعلت له مكاناً هاماً في خططها الحربية والدفاعية .

وتمتاز إيطاليا بأنها شبه جزيرة تغمرها المياه من جميع جهاتها تقريباً ، وأن البحر المتوسط يلامس سواحلها الشمالية والغربية والجنوبية على حين تطل سواحلها الشرقية على البحر الادرياتي الذي يتصل بالبحر المتوسط بمضيق أترنتو الذي تبلغ سعته ٤٦ ميلاً . ولذلك كانت إيطاليا تقول إن حقها في البحر

المتوسط لا تدانيها فيه أية دولة أخرى ؛ فليس لفرنسا على البحر المتوسط سوى ساحل صغير في جنوبها . أما إنجلترا فليس لها فيه أية حقوق ثابتة إذا ما أسقطنا من حسابنا المصالح الاستعمارية التي تدعيها بريطانيا وفرنسا في أجزائه المختلفة . ومع ذلك فقد ظلت إيطاليا . وما زالت إلى اليوم تعتبر نفسها دولة سجيئة في البحر المتوسط ، وبجانوها هم منافسوها من الانجليز والفرنسيين . فيينا نرى لانجلترا وفرنسا منافذ ومسالك تجارية عدة تعبر المحيط الأطلنطي عن غير

طريق البحر المتوسط تستطيع كلاهما أن تلجأ إليها عند الحاجة ، لا تجد إيطاليا أمامها منفذاً آخر غير البحر المتوسط إذا بدا لها أن تولى وجهها نحو الشرق أو الغرب . ولا مندوحة لها إذا أعوزتها الظروف إلى التماس منفذ آخر عن طرق إحدى البوابتين اللتين تتحكان في مدخل البحر فاما قناة السويس شرقاً وإما جبل طارق غرباً وكلاهما تقف على حراسها إنجلترا وفي يدها دون غيرها المفتاح . لذلك ركزت إيطاليا الفاشية جهودها وسياستها لتحقيق غرض نهائي واحد هو أن تفتل من ذلك الحصر أو السجن البحري . ولا يمكنها أن تبلغ ذلك إلا عن طريق التفوق البحري والتوسع الخارجي .



المنطقة التي ضمها يوغوسلافيا

أخيراً من إيطاليا

منطقة تريسته الدولية

أما القوة البحرية فان موسوليني لم ين عن تذكير الشعب الإيطالي بماضيه البحري وتفوق جنوه والبندقية في مياه البحر المتوسط طوال العصور الوسطى وأوائل العصور الحديثة ، وكان يردد دائماً قوله إن مصير إيطاليا مرتبط منذ القديم بالبحر وسيظل مرتبطاً به ، ولا يحق لأحد أن يزعم أن إيطاليا مقلدة في ذلك أية دولة أخرى . وقد شفع القول كدأبه بالعمل ، فأقام المصانع الكبرى لبناء

السفن في جنوه وتريسته ونابلى ، فلم تمض إلا سنوات قليلة حتى صار لإيطاليا أسطول كبير به من الغواصات الصالحة للعمل في البحر المتوسط وفي المحيطات ما يزيد عدده على المائة ، فضلا عن البوارج والمدرات وسفن الطوربيد والقوارب المسلحة إلى السفن الحربية الصغيرة التي تلائم حاجة الملاحه والهجوم في البحر المتوسط والتي زادت إيطاليا إنتاجها إلى درجة فاقت كل تقدير .

وقد حاول موسوليني أن يجرب حظّه في البحر قبل أن يكتمل استعداده ، فأمر باحتلال جزيرة كورفو من جزر الأيونيان التابعة لليونان ، ولكن الدول اضطرتّه إلى التراجع . فقد حدث أن اعتدى اليونانيون في أغسطس ١٩٢٣ على الرئيس الايطالى للجنة الدولية التي كانت تعين الحدود بين اليونان وألبانيا فاغتالوه ومن معه من الطليان ، ولما تباطأت اليونان في الاعتذار ودفع الغرامة التي طلبها موسوليني وحدد لها أجلا ، أمر فتحرك الأسطول الايطالى واحتل جزيرة كورفو بالقوة ، فلبأت اليونان إلى عصبة الأمم فتدخل مجلس العصبة في الأمر وفرض على اليونان أن تدفع التعويض الذى طلبته إيطاليا وقدره ٥٠ مليون ليرة إيطالية ، فقبلت اليونان التحكيم وسحبت إيطاليا قواتها من كورفو بعد أن تعلم موسوليني الدرس الأول وهو أن إيطاليا بمفردها لا تستطيع أن تتحدى الدول مجتمعة ما لم تنهض بقواتها إلى مستوى يفوق مستوى فرنسا ويدانى مستوى إنجلترا منافستها في البحر المتوسط .

وعلى ذلك اضطلعت الحكومة الفاشية بحركة الاصلاحات الشاملة التي تناولت جميع المرافق في إيطاليا ، وفي مقدمتها تقوية أسلحة البر والبحر والجو ، حتى إذا اكتملت معدات الهجوم أو كادت لاحت أمام موسوليني أهدافه الكبرى قريبة المنال ، ليفلت من البحر المتوسط ويتوسع ما شاءت له أطماعه بالسطو على البلاد المستقلة الوحيدة التي تركها الاستعمار الأوربي دون أن يحتجزها لإحدى الدول وهي بلاد الحبشة ؛ حتى إذا ما تم له الاستيلاء عليها أصبحت إيطاليا بمنأى عن خناق البحر المتوسط من جهة وعلى مقربة من بوابة المحيط الهندي وأرض اليمن الدولة الصديقة لإيطاليا من جهة أخرى . وقدر موسوليني في نفسه أن بريطانيا ومن ورائها عصبة الأمم ستقف لإيطاليا بالمرصاد وتعمل جاهدة على إحباط المشروع الايطالى ، ولكنه أمعن في درس موضوعه واستجلاء العوامل الدولية والسياسية التي تحيط به ما ظهر منها وما بطن ، فأدى به الدرس والتحليل

إلى أن القوات التي تتسلح بها الدول في الميادين المختلفة لا يقتصر قياسها وتقدير قيمها على حساب عددها وأنواعها ومدى مفعولها ، بل لابد إلى ذلك من حساب عامل معنوى آخر على درجة عظيمة من الخطورة وهو مقدار استعداد الدولة صاحبة الشأن لاستخدام تلك القوات وبلغ قوة إرادة الشعب الذى تستند إليه الحكومات في ذلك الشأن . وقد هداه النظر في هذه الاعتبارات إلى أن قوات إنجلترا سواء في البحر أو الجو أو البر ليس لها خطر ولا ينبغي أن تدخل في حسابها ما دامت الحكومة الانجليزية إذ ذاك تبذل غاية جهدها لتفادى الحرب ، وما دام الشعب الانجليزى على اختلاف طبقاته يمتك الحرب ويؤمن بميثاق العصبة ونظرية السلام العام .

وعلى هذا الأساس رعى موسوليني بسهمه وهو واثق من إصابة الهدف ، فتحدى بريطانيا ومعها العصبة ، واعتدت قواته على استقلال الحبشة ووطئت أرضها جيوش إيطاليا بمعداتها وطائراتها وغازاتها السامة محترقة قناة السويس التي كانت تسيطر عليها بريطانيا ، وتم ذلك كله تحت سمع عصبة الأمم وبصرها .

ومع إجماع بريطانيا وسائر دول العصبة على توقيع العقوبات الاقتصادية على إيطاليا فلم تقف إلى جانبها من بين الدول المشتركة في العصبة إلا ألبانيا والنمسا والمجر وإلا ألمانيا التي كانت خارجة على العصبة منذ ١٩٣٣ ، فان إيطاليا لم تتعثر في طريقها أو تتردد في مواصلة عدوانها معتمدة على الحالة النفسية التي ذكرناها وعلى ما بدا من خلاف في الرأي بين إنجلترا وفرنسا عقب زيارة الوزير الفرنسى لافال لموسوليني في روما سنة ١٩٣٥ . وكان تنفيذ العقوبات الاقتصادية على إيطاليا من أقوى العوامل التي استغلها موسوليني في إثارة حماسة الشعب الايطالى ضد الدول ، وفي تقوية عزمه على المضى في تنفيذ خطته الحربية مهما كلفه ذلك من تضحية وحرمان .

وعلى ذلك بدأت الحرب بين إيطاليا والحبشة في أكتوبر سنة ١٩٣٥ ولم تستطع الحبشة أن تقاوم طويلا أمام جحافل إيطاليا ووسائلها الحربية الحديثة المشروعة منها وغير المشروعة ، فم لايطاليا النصر بعد ستة أشهر وأعلن موسوليني ضم أثيوبيا إلى التاج الايطالى ، وأعلن ملك إيطاليا نفسه إمبراطوراً عليها . ولم يسع الدول بعد ذلك سوى تخفيف عرق الخجل ومواجهة الأمر الواقع فاعترفت واحدة تلو الأخرى بالامبراطورية الجديدة التي أنشأتها إيطاليا في

شرق إفريقيا والتي وقفت فيها على قرب المحيط الهندي تهدد النفوذ الفرنسي في جيبوتي من الصومال الفرنسي من جهة وتهدد بريطانيا في السودان المصري من جهة أخرى .

وما كاد موسوليني يخرج ظافراً من حلبة النزاع الإيطالي الحبشي حتى اندلعت شرارة الحرب الأهلية في أسبانيا بين الوطنيين يرأسهم الجنرال فرنكو والجمهوريين الشيوعيين تناصرهم روسيا وفرنسا وفئات من المتطوعين الانجليز وغيرهم فرأى موسوليني في محنة أسبانيا فرصة يفتنمها فيقف عند بوابة جبل طارق حائلاً دون نفعا بالاستيلاء على إحدى جزر البليار ، وبذلك تقف إيطاليا حجر عثرة في طريق مواصلات إنجلترا في البحر المتوسط من جهة وتهدد الخط الحيوى الذى يربط فرنسا بمستعمراتها في شمال إفريقيا من جهة أخرى ، فضلاً عما تفيده إيطاليا إذا انتصر الوطنيون الأسبان من كبح جماح الشيوعية في غرب أوروبا وتثبيت نفوذها في داخل أسبانيا . وكانت ألمانيا في سبيل مناهضة الشيوعية قد عقدت مع اليابان في سنة ١٩٣٦ ميثاق مناهضة الشيوعية الدولية المعروف بالأنتيكومترن Anticomintern Pact . والحد من نشاطها فرحبت بالتدخل في أسبانيا إلى جانب الوطنيين ؛ وكانت هي أيضاً تضرر الافادة بما تستغله من المعادن في شمال أسبانيا وبتحصين ميناء سبتة المواجه لجبل طارق في بلاد المغرب الاسبانية . وبذلك استحال الحرب الأهلية في أسبانيا إلى ميدان دولى تختبر فيه الدول والحكومات المتنازعة مخترعاتها وأسلحتها وهيئ فيه لقواتها الفرص للمرانة والتدريب .

وفي الوقت الذى كانت الدول تقرر فيه رسمياً عدم التدخل في الحرب الأهلية كانت الشعوب والحكومات توالى إرسال المتطوعين والمساعدات إلى الفريقين المتحاربين . وقد بلغ ما أرسلته إيطاليا من المتطوعين في جيش فرنكو نحو ١٠٠,٠٠٠ جندي ، واختصت ألمانيا بإرسال الطائرات والدبابات والمدافع والخبراء الفنيين في مختلف فنون الحرب وصناعاتها ، على حين أنشأت فرنسا فرقة دولية للمتطوعين لمساعدة الجمهوريين ، وسمحت لهم الحكومة باختراق الحدود إلى أسبانيا ، وكانت حكومة السوفيت تزودهم بالطائرات والمعدات . ولكن إيطاليا وألمانيا كانتا أسمى وأسرع في معاونة فرنكو ؛ ولذلك تفوقت قواته فسقطت برشلونة ثم مدريد بعد حصار دام سنتين ونصف سنة ، وانتهت الحرب في أبريل

سنة ١٩٣٩ . وقد أيقنت كل من إيطاليا وألمانيا بتفوق معداتها على معدات فرنسا وروسيا . ولكن سياسة عدم التدخل والاحتفاظ بالحالة الحاضرة التي أقرتها الدول رسمياً قد حرمت إيطاليا تحقيق مآربها في احتلال إحدى جزر البليار . ووجد موسوليني نفسه مضطراً في مقابل اعتراف إنجلترا بالامبراطورية الإيطالية في الحبشة إلى تحسين علاقاته مؤقتاً مع إنجلترا ، فتفاهما ووقعا اتفاق « الجنتلمان » أو اتفاق الرجل الشريف في سنة ١٩٣٨ ، واعترفت فيه الدولتان بأهمية البحر المتوسط لكل منهما ، وتعهدهما بأن تحترم كل منهما مصالح الأخرى مع إقرار بقاء الحالة الحاضرة فيه دون تغيير . ولكن اتفاق « الجنتلمان » لم يمد كثيراً ؛ فما لبثت العلاقات بين بريطانيا وإيطاليا أن توترت على أثر مقاطعة إيطاليا لحفلة تتويج الملك جورج السادس ومعاودتها حملة الطعن والتشهير على إنجلترا من محطات الاذاعة الإيطالية ، وخاصة محطة بارى التي كانت تذيع باللغة العربية . ثم لم تلبث نيات إيطاليا أن ظهرت فيما بدا من الصلة بين هتلر وموسوليني ؛ فقد زار هتلر روما في مايو سنة ١٩٣٨ ورد موسوليني له الزيارة في أغسطس من تلك السنة .

ويظهر أن موسوليني قد أعاد إلى ذهنه تجربة سنة ١٩١٥ حين قررت إيطاليا إهمال المحالفة الثلاثية التي كانت تربطها بألمانيا والنمسا والانضمام إلى صفوف الحلفاء ، فوازن في دخيلة نفسه بين ما تكسبه إيطاليا من انجيازها لهتلر وبين ما تستطيع أن تصيبه من جانب الحلفاء ، فأثر في النهاية أن ينضم إلى ألمانيا إذ كانت إيطاليا تهدف بعد فتح الحبشة إلى ضم تونس وجزيرة قورسيقه ونيس في جنوب فرنسا ، والحصول على مقعد لها في مجلس إدارة شركة قناة السويس بعد أن أصبحت مصالح الامبراطورية الجديدة مرتبطة إلى درجة عظيمة بمصير القناة . ولما كان تحقيق هذه الأهداف يتعارض تعارضاً تاماً مع مصالح بريطانيا وفرنسا في البحر المتوسط فقد رجحت في نظر موسوليني كفة محور روما — برلين لا سيما أنه كان لا يزال ينقم على إنجلترا والعصبة توقيع العقوبات الاقتصادية على إيطاليا ، ويتحرق لهفة للانتقام وانتهاز أول فرصة تسنح للقضاء على أعدائه أوعداء نظامه الفاشي . وما كان موسوليني لينقاد بسهولة إلى شهوة الانتقام لو لم تقنعه الحقائق الواضحة لكل ذى عينين بأنه أمام فرصة يحسن اغتنامها ؛ فقد كان يعارض بشدة في ضم النمسا إلى ألمانيا ، ولكنه حين زار برلين في خريف

سنة ١٩٣٨ راعه ما رآه من هول الأداة الحربية الألمانية وما عرفه عن قوة استعداد ألمانيا إلى درجة تقرب من حد الإعجاز البشرى ، فاقنتع اقتناعاً ملك عليه عقله وإحساسه ومنطقه بأن ألمانيا هي حقا فوق الجميع وأنها لا يمكن أن تقهر بأية حال. ومن ثم قبل على مضض اندماج النمسا في ألمانيا ، وفوق السهم للمرة الثانية إلى هدف جديد ، فانضم إلى جانب ألمانيا وسايرها في مناهضة الشيوعية الدولية وفي التشريع ضد اليهود ، ثم فيما هو أهم من ذلك كله وهو الخروج من عصبة الأمم وعقد المحالفة الدفاعية الهجومية مع ألمانيا في سنة ١٩٣٩ .

وكانت أول ثمرة للمحالفة الجديدة أن سطت إيطاليا على ألبانيا في يوم الجمعة الحزينة لعام ١٩٣٩ وشردت ملكها ومليكتها النفساء وضمت البلاد إلى التاج الإيطالي ، وكانت ألبانيا هي الحجاز الذي قررت إيطاليا متى اندلعت شرارة الحرب أن تشب منه على عدوتها يوغوسلافيا واليونان . ومع أن موسوليني قد التزم الحيدة في بدء نشوب الحرب لهول الصدمة التي تلقاها باعلان التحالف بين ألمانيا وروسيا ، فانه لم يلبث أن انساق لتنفيذ الخطة الموضوعة . وقد خاب فأله في هذه المرة وجافاه التوفيق ، إذ تنكر لمبدأ إرادة الشعب في الحرب وهو المبدأ نفسه الذي استند إليه موسوليني نفسه في أثناء الأزمة الحبشية فأفلح . فقد كانت كثرة الشعب الإيطالي في هذه الفترة تكره أن تنساق وراء ألمانيا في حروبها ، وتود لو أن إيطاليا لزمت الحيدة وحافظت على موقفها من الحلفاء ما دامت بأيديهم مسالك البحار والمحيطات حتى لا تتعرض إيطاليا لخطر الجوع والحرمان . ولكن موسوليني أغمض عينيه وأصم أذنيه وكأما عميت بصيرته وغفل عن كل ما يراه ويسمعه وما قد تجره الحرب على بلاده من ويلات ، واغتر بثقة الشعب به وإيمانه بأنه الزعيم الذي لا يمكن أن يخطئ ، فجرفه تيارا الحرب وربط مصير بلاده بعجلة آلهة الحرب الألمانية ، وانتهر فرصة انهيار فرنسا أمام ألمانيا في يونيه سنة ١٩٤٠ فهاجمها من الخلف . وبدأت منذ ذلك الوقت محنة إيطاليا وارتفع الستار عن مأساتها الأخيرة .

لقد خان زعيم إيطاليا أمانة السلم والأمن التي كانت في عنقه لبلاده ، فغامر بمستقبل الأمة التي عبدته والتي أفنى أكثر من ربع قرن في تجديدها وتنشئتها خلقاً جديداً ؛ إذ أكرهها على دخول الحرب إلى جانب الشعب الذي كان الايطاليون يخشونه ويرهبونه ويضمرون له في قرارة أنفسهم إلى ذلك مقتاً

شديداً . ولذلك لم يكن غريباً أن تتابع الكوارث الحربية على إيطاليا ، فمن تقهقر أمام اليونان في البلقان إلى ضياع للامبراطورية الإيطالية في أثيوبيا وشرق إفريقيا ثم إلى ارتداد وخذلان وفرار من ليبيا والجهة الشرقية في شمال إفريقيا .

وقد حاول الألمان في أول الأمر إصلاح حال حليفهم ، فلما استعصى العلاج ونفذ الصبر وضع الألمان أيديهم على أداة الحرب في إيطاليا ؛ ولم تمض إلا ثلاث سنوات على دخول إيطاليا الحرب حتى فقدت البلاد تماسكها وتحكم الأجنبي في مصايرها . ثم جاءت الساعة الحاسمة ؛ فما كاد الحلفاء يعبرون البحر المتوسط من تونس إلى جزيرة بنتالاريا وصقلية حتى زالت الغشاوة التي كانت ترين على أبصار الشعب الإيطالي في السنين الأخيرة . فبدلاً من أن يستमित في المقاومة كما نصح موسوليني ، مد الطليان أذرعتهم لاستقبال مخلصهم من طغيان الفاشيين ومن النظام الألماني الصارم ، ووضح للملك ولأعوان موسوليني وللناس جميعاً أن موسوليني قد خسر الموقعة الأخيرة ، فاجتمع المجلس الأعلى للفاشية وقرر في ٢٤ يولييه ١٩٤٣ بأكثرية تسعة أصوات ضد سبعة أن يتولى الملك قيادة القوات الإيطالية ، وكان معنى ذلك إبعاد موسوليني ، وعين الملك المارشال بادوليو Badoglio رئيساً للهيئة التنفيذية فحل الحزب الفاشي وقبض على موسوليني وأبعد الفاشيين من إدارات الحكومة ، وبدأ يفاوض الحلفاء على شروط الهدنة فتقررت في سبتمبر سنة ١٩٤٣ وانضم الطليان إلى جانب الحلفاء ، ثم أخذ الحلفاء يزحفون ببطء داخل إيطاليا حتى استطاعوا دخول روما في يولييه سنة ١٩٤٤ .

وكان الألمان قد خطفوا موسوليني من معتقله بالطائرة . فلما ارتد الألمان أمام زحف الحلفاء الأخير في الشرق والغرب والجنوب حاول موسوليني الهرب إلى سويسرا ، ولكن مواطنيه الطليان باغته وقبضوا عليه وقتلوه في ٢٨ أبريل سنة ١٩٤٥ ومثلوا به شرملة . وفي أوائل مايو استسلم القواد الألمان ، فانتهت بذلك الحرب في ميادين أوربا . وخرجت إيطاليا من الحرب ذليلة مهينة الجناح منكسة الرأس يلطخ العار جبينها ويغض أبصارها ، لا لانكسارها الحربي فحسب فقد سبق أن انهزم الطليان أمام الأحباش هزيمة منكرة في موقعة عدوة كما أذاقهم العرب والترك من قبل في طرابلس وبرقة طعم الهزيمة في مواقع عدة ،

ولكنهم لم يجازفوا في مرة من تلك المرات أو يقامروا باسم بلادهم وشرف زعمائهم كما فعلوا في هذه المرة . فقد أذعنوا أو سلموا قيادهم لموسوليني وكان قويا بهم مع أنهم كانوا يعلمون علم اليقين أنه على خطأ فيما جرهم إليه ، وأن دخول إيطاليا الحرب وهي لا تزال مكلمة من حرب الحبشة سينتهى بها حتما إلى الهاوية . ثم لم تكد الهزيمة تكشف عن أنيابها ويخرج مركز الزعيم المعبود حتى انقلبوا عليه وأنزلوه من حلق فهوئى إلى مواطني ناعلم ، فداسوه وداسوا معه المبادئ التي طالما آمنوا بها ودعوا إليها . وكأما كان معبود إيطاليا العتيد تمثالا من طين عبده فترة من الزمن وأحرقوا من حوله البخور ودقوا له الطبول ، ثم ما لبثوا أن كفروا به فهشموه حتى أحالوه تراباً . على أن إيطاليا التي جالدت خطوب الزمن وصارعت أحداثه آلاف السنين لم تفقد يوماً حيويتها ولم تعد وسيلة لتلائم بين ظروفها وحاجاتها . فما كاد الحلفاء يسلمون زمام الأمور في البلاد للهيئة الحاكمة الجديدة حتى بدأ الايطاليون يعرضون ما خسروه في الحرب من إنتاج وأسواق فأقاموا كثيراً من مصانعهم ، واستعاضوا عن الوقود الذي قل في أوروبا جميعها والذي فقدته إيطاليا بعد ضياع شبه جزيرة استريا باستخدام الكهرباء من مساقط الماء وخاصة في القسم الشمالى حيث جبال الألب والأنهار السريعة الجريان . وقد أبقت الحرب على كثير من محطات القوى المائية التي أقيمت بكثرة في العهد الفاشي فلم ينلها عطب يذكر .

واغتنمت إيطاليا فرصة خروج ألمانيا واليابان من ميدان التنافس التجارى فنهضت بانتاجها الصناعى والزراعى ، واستبدلت بمنتجاتها الخامات من بريطانيا وأمريكا ومصر والهند ، ولم يبق مغلقاً أمامها إلا أسواق شرق أوروبا ؛ فاذا سويت مسألة التعويضات بينها وبين روسيا انفتحت لها أسواق روسيا والبلقان ، واستطاعت إيطاليا أن تسترد كثيراً مما فقدته بسبب الحرب . وإذا كانت مالية البلاد قد تضعضعت إلى حد الافلاس— إذ بلغ العجز بين الإيراد والمنصرف في سنة ١٩٤٥ أكثر من ١١٥ ألف مليون ليرة كما بلغ الدين الوطنى ٨٥ ألف مليون ليرة عدا القروض الأجنبية— فان القرارات الأخيرة بشأن تخفيض نوات إيطاليا المسلحة إلى أدنى حد ممكن سيكون من شأنها أن ترفع عن كاهل البلاد جانباً ثقيلاً من التبعات المالية التي كانت ترهق ميزانية البلاد قبل الحرب الأخيرة ، كما سيكون لابتعاد إيطاليا عن مستعمراتها أحسن الأثر في

تركيز ثروة البلاد وإعفاؤها من تحمل تبعات الدفاع عنها واستتباب النظام فيها هذا إلى أن الإيطاليين الذين يرغبون عادة في الهجرة من بلادهم قوم فقراء تعوزهم رهوس الأموال اللازمة للتشجير . والتعمير وقد دلت التجربة القاسية في ليبيا والحبشة على قلة استعداد الطليان لحكم المستعمرات على رغم حسن قابليتهم للاندماج مع الأهالي والعيش على الكفاف . وإذ كانت إيطاليا أول دول المحور استسلاماً وطلباً للصلح والانضمام إلى جانب الحلفاء ، جاءت قرارات الصلح الذي أبرم في مارس الماضي مع حكومة إيطاليا الجمهورية الجديدة أخف وقعاً مما كان ينتظر . وتنحصر التعديلات والتغييرات الإقليمية التي اقتضاها الصلح في تصحيح فرنسا لحدودها الشرقية بإضافة بعض مساحات صغيرة إليها من الأراضي الإيطالية ؛ وقد أصرت فرنسا على ضرورة ذلك عقاباً لإيطاليا على هجومها المفاجئ في يونية سنة ١٩٤٠ م ومع ذلك فقد اشترط الحلفاء على فرنسا أن تحترم مصالح الإيطاليين في تلك المناطق ، وأن تحتفظ للطليان بمحطات القوى التي أنشئت بها . وأما جزر الدوديكانير فقد كانت حجة إيطاليا في الاستمسك بها بالغة منتهى الضعف ؛ إذ كانت تلك الجزر تابعة في الأصل لتركيا ، وهي من حيث الجنس واللغة والدين والتقاليد تنسب إلى اليونان ، وقد تسلمتها اليونان فعلاً في مارس الماضي . وأما مستعمراتها في إفريقيا فقد أرجى تقرير مصيرها عاماً منذ تاريخ إقرار الصلح مع إيطاليا حتى تستطيع اللجنة التي ألفها الحلفاء أن تدرس الحالة وتقدم مقترحاتها . ولا يزال النزاع بشأنها شديداً بين حكومة اتحاد السوفيت من جهة والحكومات الديمقراطية من جهة أخرى . ويكاد أمل إيطاليا في استرداد شئ منها يكون في حكم المستحيل بعد الذي عاناه أهالي المستعمرات من الحكم الفاشي قبل الحرب الأخيرة .

بقيت مشكلة تريسته ومنطقة فيزييا جوليا وشبه جزيرة أستريا Istria وهي الحاجز الذي يفصل بين شرقي أوروبا وغربيها والذي تصطدم فيه مصالح يوغسلافيا بمصالح إيطاليا . وقد كانت هذه المنطقة منذ الحرب العالمية الأولى مصدر نزاع بين الدولتين ، وقد أصرت يوغسلافيا بعد الحرب العالمية الثانية على استرداد تلك المنطقة من إيطاليا ، ووجدت من جانب حكومة السوفيت سنداً لها . فضمت معظم المنطقة ما عدا تريسته التي احتلها الحلفاء ولا يزالون بها حتى

الآن ، وقد دعا هذا إلى تخرج الموقف بين حكومات الغرب والشرق . وليس خافياً أن الموقف في البحر الأدرياتي لا يحتمل وجود دولة كبيرة كإيطاليا إلى جانب دولة متوسطة كيوغسلافيا ، وأن كتلة الدول الشرقية حريصة على تكبير شأن يوغسلافيا وصنع المنطقة جميعها باللون الأحمر . وبما أن إيطاليا بحكم تقاليدها وميولها قد اتجهت بسياستها نحو الدول الغربية فقد اشتد النزاع بين الجانبين بشأن ترابستة وتقرر في النهاية أن تكون منطقة دولية محايدة تخدم مصالح أوروبا الوسطى جميعاً . أما يوغسلافيا فقد وضعت يدها على جزر البحر الأدرياتي وعلى ميناء فيومى وبولا ومنطقة فينيزيا جوليا ، ولم يعد لإيطاليا في البحر الأدرياتي سوى البندقية ثغرها القديم وفيه ستركز إيطاليا الجديدة نشاطها البحرى والتجارى . في البحر الأدرياتي .

وبذلك تكون إيطاليا قد قصت أجنحتها البحرية في البحر المتوسط والبحر الأحمر ؛ إذ خسرت مستعمراتها في ليبيا وأرتريه والحبشة ، وضاعت عليها جهود ساستها في مدى خمسين عاماً أو أكثر ، كما فقدت قواعدها في جزر الدوديكانيز وفي البحر الأدرياتي . وتقضى معاهدة الصلح أن تهدم تحصيناتها في جزيرة سردينية وبنتلاريا وغيرها لمعاهدة الصلح ومن الجزر الصغيرة التى كانت في موقعها من وسط البحر المتوسط تهدد القواعد الانجليزية والفرنسية وتعلن عن قوة إيطاليا في البحر الذى كانت تدعوه بحرها .

ولكن إذا كانت إيطاليا قد تركت - إلى حين - سياسة البحر المتوسط فإن هذا البحر لن يتركها ، وسيظل من أهم العوامل الطبيعية التى تؤثر في بعثها ونهضتها . وهى ذى الآن وهى لم تزل في محنتها تحرص على إحياء صناعة السفن من جديد فتشيدها وتجربها لمنفعة غيرها . وتحاول حكومة الجمهورية الجديدة بكل قواها أن تعيد إيطاليا إلى مكانتها الدولية ، فتبادل الممثلين السياسيين مع سائر الدول وتطلب الاشتراك في هيئة الأمم المتحدة ، وتريد أكثر من ذلك أن تنهض من كبوتها فتستأنف العمل على بسط نفوذها التجارى والدينى والثقافى في منطقة البحر المتوسط دون أن يكون لها في الوقت الحاضر من النفوذ السياسى أو الحربى ما يؤدى بها إلى الهاوية مرة ثانية . وإنها لتفضل وهى في حالتها الحاضرة أن تنسى ماضيها القريب وتكسب صداقة

الدول الديمقراطية من جهة ورضاء حكومة السوفيت وصاحباتها من جهة أخرى ، وبذلك تطمع أن تكون أداة الوصل بين الشرق والغرب . وإن لدى إيطاليا من قوة رجالها واطراد زيادة عدد سكانها مع ما عرفوا به من الوطنية والكد وقوة الاحتمال والبناء لصفات لو أضيفت إلى تالد مجدهم وموقع بلادهم الجغرافي في وسط البحر المتوسط لكفلت لهم جميع الزايات التي تؤهلهم قبل مضى وقت طويل إلى اجتياز طور النقاهاة سريعاً ، ثم الانخراط في سلك الدول العظمى .

محرمة رفعت